تحصيل نظائر القرآن

للحكيم الترمذي

تحقيق وضبط

حسني نصر زيدان

الطبعة الأولى

١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله ، الذى بلغ ما أنزل إليه من ربه ، وبين للناس ما نزل إليهم ، فأدى الأمانة ، وبلغ الرسالة .

وبعـــد :

فإن القرآن الكريم هو أجل نعمة أنعم الله بها على عباده ، حيث جاء فيه بالعقيدة الحقة ، والشريعة السمحة ، وأرسخ فيه أمهات الفضائل وأورد به أحسن القصص وأبلغ العبر ، فكان نورا وهدى ، وشفاء ورحمة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾[1] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

---

(١) الآية ١٧٤ من سورة النساء .

(٢) من الآية : ٥٧ من سورة يونس .

فالقرآن الكريم يوجه الفرد إلى العقيدة الفطرية الحقة ، إلى عقيدة التوحيد الخالص ، التى فطر الله الناس عليها ، حيث يقرها العقل ، ويطمئن لها الوجدان ، فنراه يحض على اتباع الدين القيم الذى لا زيغ فيه ولا اعوجاج :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(١) .

ومن تدبر القرآن الكريم وجد أنه يحتوى بين دفتيه على أسس التشريع العادل الحكيم ، الذى يحقق مصالح الناس ، ويقيم العدل بينهم ويحفظ عليهم حقوقهم ، ويرفع الحرج عنهم ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث . إنها الشريعة السمحة التى أمر الله بها رسوله ودعاه إلى التمسك بها :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

ثم إنه ليرسم لنا أقوم المناهج الأخلاقية ، وأقربها إلى فطرة الإنسان

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة الروم .

(٢) الآية : ١٨ من سورة الجاثية .

وسلوكه ، بما جاء به من أمهات الفضائل ، التى تعمل على تهذيب النفوس وتطهيرها من الشرور والآثام ، وتكفل العيش والطمأنينة للأفراد والجماعات ، وليتأمل القارىء الكريم لونا من هذه الأخلاق ، ونموذجا من هذه الفضائل ، حيث يعظ لقمان ابنه فيقول :

﴿ يا بُنَيَّ : أَقِمِ الصَّلاَةَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاصْبِرْ عَلَى ما أَصابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ، وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ، وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[1] .

فالقرآن بشرائعه وأحكامه ، وآدابه وأخلاقه : يرسم للمجتمع والفرد طريق الهداية ، وسبيل السعادة فى الدنيا والآخرة حيث يقول :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾[2] .

ثم إنه ليورد أحسن القصص وأصدقه ، بما ينتظم أبلغ العظات

---

(١) الآيات : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة لقمان

(٢) من الآية : ٩ من سورة الإسراء .

وأنفع العبر ، فهو يصور أحوال الماضين فى أسلوب قصصى بارع أخاذ ، لتكون عظة وعبرة للحاضرين فيجتنبوا رذائلهم ، ويتبعوا فضائلهم ، تأمل قوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾(١) .

وأيضاً حينما تعرض لقصة أصحاب الكهف حيث يقول عز وجل :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ﴾(٢) .

ثم بعد هذا كله : نرى القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، والحجة الساطعة ، على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعواه ، فقد تحدى به أساطين البلغاء ، وفحول الخطباء ، فعجزوا عن الإتيان بمثله ، أو حتى بأقصر سورة منه ، فكان الآية الكبرى ، والمعجزة العظمى الباقية على مر الزمن ، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل فقال :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣) .

ثم يسره للذكر ، فجاء رقيق العبارة ، عذب الأسلوب ، سهل الحفظ

---

(١) من الآية : ٣ من سورة يوسف .
(٢) من الآية : ١٣ من سورة الكهف .
(٣) الآية : ٩ من سورة الحجر .

ولا يعرف من بين الكتب السماوية كتاب يحفظ عن ظهر قلب سواه : قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾(١) .

فإذا كان القرآن من أجل النعم علينا ، فما أجدرنا أن نوفى شكر هذه النعمة ، وذلك بأن نتخذه إماما نهتدى بهديه ، ومصباحا نسير فى ضوئه ، ودستورا نعمل بأحكامه ؛ ولن نصل إلى هذا كله إلا بتدبر آياته وتفهم معانيه ، ومعرفة أساليبه ، والوقوف على مراميه ، قال عز من قائل :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾(٢) .

وإن آيات القرآن لتفسر بعضها بعضا ، بحيث أن من فهم بعض آياته سهل عليه فهم كثير من الآيات ، ومن عرف أسلوبه فى موضع : أعانه على معرفة أكثر أساليبه فى مواضع عديدة ، ففى كل آية نور يضىء آيات أخرى ، ويعين على تدبرها ، ويهدى الله لنوره من يشاء .

وإذا كان للقرآن الكريم هذه المنزلة الجليلة . والشأن العظيم ، فلا

---

(١) الآية : ١٦ من سورة القمر .
(٢) الآية ٢٩ من سورة ص .

غرو أن يكون موضع عناية المسلمين ، ومحل دراسة الباحثين ، فقد تتابعت أنواع التآليف فى أحكامه وتفسيره ، وفى إعجازه وبلاغته ، وفى لغته وإعرابه ، حتى لقـــد ازدهرت فى الثقافة الإسلامية ضروب من العلوم والفنون ، كلها تدور حول القرآن الكريم ، وتنضوى تحت لوائه .

وها نحن نقدم للقارىء الكريم إحدى الرسائل التى تناولت بالتحليل دراسة بعض الاصطلاحات الواردة فى القرآن الكريم ، بما يكشف لنا عن مضمون سرها ، ويلقى أضواء على نظيرها فى مواضع أخرى ، وذلك فى ضوء المعانى المستنبطة من القرآن تارة ومن الحديث تارة أخرى ، ثم فى ضوء التحليل اللغوى العربى ، الذى يؤدى إلى أصلها ومواطن استعمالها ، والحقيقة أن هذا اللون من الدراسة لم نعهده فى علوم القرآن ، فهناك تآليف فى أنواع كثيرة من علوم القرآن مثل معرفة الناسخ والمنسوخ ، وتاريخ القرآن ، ومعرفة المحكم والمتشابه ، وغريب القرآن ، ومعرفة المكى والمدنى ، وأسباب النزول . إلى غير ذلك ، ولكنى لم أجد من المؤلفين من صرف جهده إلى هذا اللون من الدراسة القرآنية التحليلية لبعض المصطلحات الواردة فى القرآن الكريم وهذا مما أدى بى إلى العمل على إعداد هذه الرسالة ، وتحقيقها حتى تكون بين يدى القارىء الكريم ، فيستطيع أن يشارك فى تذوق هذه الثقافة الرفيعة من الدراسة التحليلية العميقة .

وسوف نتناول بالتعريف صاحب الرسالة ، ثم التعريف بالرسالة ومحتوياتها .

أولا :

التعريف بالمؤلف :

هو أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر ، الملقب بالحكيم الترمذى ، نسبة إلى مدينة « ترمذ » المشهورة بأكابر العلماء ، ومشاهير المحدثين .

وقد ولد الحكيم الترمذى فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، ولم تذكر المصادر التاريخية التى ترجمت له شيئاً عن تحديد تاريخ ولادته بالضبط ، وقد ذكر الذهبى فى كتابه « تذكرة الحفاظ » أن الحكيم الترمذى عاش ثمانين سنة ، أما ابن حجر فيقول إنه عمر إلى التسعين ، وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ وفاته فمن قائل إنها كانت سنة ٢٥٥ هـ ، وهذا رأى باطل من أساسه ، حيث أن الحكيم الترمذى رحل إلى نيسابور وحدث بها عام ٢٨٥ هـ ، كما أن ابن حجر يذكر لنا أن ابن الأنبارى سمع من الترمذى سنة ٣١٨ هـ ، وأخيرا فإن الدراسة الحديثة لهذه الشخصية أثبتت أن وفاته كانت بعد عام ٣١٨ هـ ، حيث أنه يذكر لنا فى إحدى رسائله المعروفة « كتاب الحج وأسراره » ما يؤكد وجوده فى هـذا الوقت ، فهو يتعجب من القرامطة الذين سلبوا الحجر الأسود واقتلعوه من مكانه ، ومعلوم أن هذه الحادثة الخطيرة وقعت عام ٣١٧ هـ ، وهذا

يؤيد رواية الذهبي وابن حجر ، ويبدو أنه عاش إلى ما يقرب من حدود العشرين وثلاثمائة هجرية . وأن حياته امتدت حتى بلغت المائة فما فوق .

ثقافته :

ولقد كان الحكيم الترمذى : واسع الثقافة ، غزير المادة ، جمع كثيراً ، وكتب كثيراً ، فقد ارتحل لطلب الحديث ، وجاب الآفاق فى خراسان والعراق ، وحدث بنيسابور ، وأخذ عن كبار العلماء وأئمة المحدثين ، ثم إنه لقى أكابر الصوفية ، وأخذ عنهم ما شاء له أن يأخذ ، واطلع على جميع ثقافات عصره ، فامتدت ثقافته إلى جميع فروع المعرفة وناقش الفقهاء ، وجادل المخالفين لأهل السنة ، وصنف الكتب والرسائل فى الرد عليهم ، ثم إنه ليحدثنا فى رسالة كتبها بخط يده « بدو شأن الحكيم الترمذى » فيقول : إنه اشتغل بتقدير شأن الزوال وحسابات البروج والاصطرلاب فأمعن فيه ، حتى جاءه النهى عن الاشتغال بهذه الأمور » ، وهكذا اشتغل الحكيم الترمذى بعلوم عصره من فلك وطب وتشريح ، وهذا ما نراه واضحا من خلال مؤلفاته العديدة .

وأما عن علوم اللغة فقد بلغ فيها غايتها ، فقد أحاط بعلوم القرآن والأدب والفقه ، وقد لعبت اللغة دورا هاما فى مؤلفاته ، فهناك مؤلفات كانت تقوم بدورها على المنهج اللغوى الذى اصطنعه ، ومن أهمها كتابيه : « الفروق ومنع الترادف ، وتحصيل نظائر القرآن » . فكلاهما

مكمل للآخر ، ويقوم على فكرة واحدة ، وهى نفى الترادف بين ألفاظ اللغة العربية ، فهو يحدد الصلة بين الألفاظ بعضها وبعض ، ليصل إلى مدلول كل لفظ على حدة ، وليحدد حقيقته ، ويتضح ذلك كل الوضوح فى كتاب « الفروق ومنع الترادف » ، وهو يرى أن اللفظ لابد أن يكون له معنى ثابت لايتغير بتغير المواضع والمقامات ، فاللفظ مهما تشعب معناه أو تعدد : إنما مرجعه وحقيقته واحدة ، ويبرز هذا المنهج فى كتاب « تحصيل نظائر القرآن » الذى نحن بصدد تحقيقه .

أسلوبه :

ويمتاز أسلوب الحكيم الترمذى بالبساطة فى الألفاظ ، مع جزالة المعنى ، وكثيراً مايطيل القول فى مسألة ما قاصدا توضيحها بشتى الوسائل فمن ضرب الأمثال إلى الاستشهاد بالآية والحديث ، إلى التحليل اللغوى العميق الدقيق ، كل هذا بعيداً عن التعقيد والغموض ، يساعده على ذلك اطلاعه الواسع وثقافته المترامية الأطراف ، بالإضافة إلى ثروة هائلة من اللغة اكسبت ذوقه مرونة ، وأسلوبه سلاسة ، ومنطقه جزالة .

منهجه فى التأليف :

وقد عنى الحكيم الترمذى بالنفس الإنسانية عناية خاصة ، فأخذ يعمل على تحليلها وغور أسبارها ، ووضع المنهج السليم لتهذيبها وترويضها ونجد هذا واضحا كل الوضوح من خلال قراءتنا لمؤلفاته الصوفية والأخلاقية ، مثل : « الرياضة وأدب النفس » ، « بيان الفرق بين

الصدر والقلب والفؤاد واللب » ، ثم يربط فى إطار جميل بين علاج الجسم من الأمراض والأسقام ، وبين علاج النفس من الأدناس والآثام ، بما ينم عن دراية بخفايا الأجسام وخبايا النفوس ، وأكثر مؤلفاته جاءت عن طريق المحاورات والأسئلة التى كانت تدور على ألسنة تلاميذه ، وكثيراً ما يبدأ رسائله بقوله : « أما بعد فإنك قد سألت عن . . . . » ، بل إن هناك رسائل بكاملها على هيئة أسئلة ، أو أجوبة لمسائل ، مثل « مسائل سئل عنها وذكر أجوبتها » ؛ جواب كتاب عثمان ابن سعيد » ، وكثيراً ما يقول : قال له قائل ما هو كذا أو كذا ؟ ؟ » .

وهذا ما يؤكد قوله عن نفسه : « ما صنفت حرفا عن تدبير ولا لينسب إلى شيء منه ، ولكن كان إذا غلب على وقتى أتسلى به » .

ولكن رغم هذا كله فقد كانت له نظريات جديدة ، وآراء لم يسبق إليها ، جعلته فى مصاف العلماء القلائل الذين يعتز بهم الإسلام ، وقد زخرت المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من مؤلفاته ، أكثرها مازال مخطوطا مستودعا فى بطون المكتبات العالمية ، ما بين باريس واستانبول والاسكندرية والقاهرة ، ودمشق وكلكتا ، وبرلين وفينا ، وقد نشر منها حتى الآن :

١ — نوادر الأصول : طبع فى استانبول ١٢٩٣ هـ .
٢ — حقيقة الآدمية (الرياضة) : طبع الإسكندرية ١٩٤٦ م .
٣ — الرياضة وأدب النفس : طبع فى القاهرة ١٩٤٧ م .

٤ — بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب : القاهرة ١٩٥٨ م .

٦ — ختم الأولياء : طبع بيروت ١٩٦٥ م .

٧ — الحج وأسراره : القاهرة ١٩٦٩ م .

٨ — الفروق ومنع الترادف : تحت الطبع بالقاهرة .

٩ — تحصيل نظائر القرآن : وهى التى نقدم لها على هذه الصفحات.

وأما باقى مؤلفاته فمازالت مخطوطة . وقد أشار أحد الباحثين إلى معظمها مبينا أماكن وجودها ، فى أحد كتب الترمذى . فليرجع إليه من شاء[1] .

ثانياً :

تعريف بالكتاب ومحتوياته :

ذكرنا فيما سبق أن الحكيم الترمذى قد عنى بدراسة القرآن الكريم ورحل فى طلب الحديث ، وأنه أجاد وأبرع فى الإحاطة باللغة العربية وفقهها . وكان ثمرة هذا كله أنه خرج بمنهج خاص فى تذوقه لمعانى القرآن الكريم ، بل إنه لينقض فكرة الترادف فى الألفاظ ويرفضها رفضاً قاطعاً ، معللا ذلك بأن اللفظ إذا كان مرادفا للفظ آخر : أدى إلى

---

(١) انظر مقدمة كتاب بيان الفرق بين الصدر والقلب تحقيق نقولا هير .

الاختلاف فى الفهم ، فقد يعلم الإنسان لهذا المعنى لفظا ، ويعلم الآخر لفظا آخر ، فيختلف الفهم . وهو بهذا يعارض من يقول بالترادف مدعياً : أن الترادف يوسع دائرة التعبير ويسهل مجال النظم والنثر ، بالإضافة إلى أنه يعمل على تأدية المقصود بإحدى العبارتين عند تساوى الأخرى .

ولكن الحكيم الترمذى يرفض هذا ، وينهج نهجا استقرائيا يعرض فيه لطائفة من الألفاظ والعبارات التى يقال بترادفها ، وذلك ليثبت نقيض ذلك . وتقوم فكرة تأليفه لكتاب الفروق على هذه النظرية ، ثم نراه يوضح لنا أن الأسماء والألفاظ سمات المدلولات والحقائق ، ويجب أن يكون للألفاظ معنى ثابت لا يتغير ، ويجب أن يكون هناك عامل مشترك ثابت بين صور اللفظ المتعددة ، فاللفظ مهما تعدد معناه . فمرجعه إلى حقيقة واحدة ، تلك هى الفكرة الرئيسية التى قام عليها تأليفه لكتاب « تحصيل نظائر القرآن » ، ويبدو أن الحكيم الترمذى قد وقع فى يده بعض الكتب المؤلفة فى نظائر القرآن ، ويدعى فيها مؤلفها : أن اللفظ يرد على وجوه كثيرة متباينة ، فهو فى مكان بمعنى ، وفى آخر بمعنى ، وفى ثالث بمعنى وهكذا ، مثلا : كلمة الذكر ، تأتى مرة بمعنى الصلاة ، وبمعنى الخبر ، وبمعنى الوعظ ، وبمعنى الشرف ، وبمعنى القرآن ؛ فهو يدعى أن لفظ الذكر يأتى فى كل مرة بمعنى آخر .

فجاء الترمذى ورد على مؤلف هذا الكتاب ، وأوضح أن هذه المعانى جميعا وتلك الوجوه المتعددة فى الظاهر ، إنما مردها إلى أصل

واحد تنشعب عنه ، وترد إليه ، فكلمة الذكر هذه إنما مردها إلى أصل واحد ، ثم تشعبت هذه الوجوه عنه . وكذلك كلمة الهدى وغيرها مما هو مذكور فى الكتاب . وقد عمد الترمذى إلى إحدى وثمانين كلمة من القرآن الكريم ، ليطبق عليها نظريته ، ويردها فى استعمالاتها المختلفة إلى أصولها التى عنها تشعبت ، وقد سلك فى ذلك منهج التحليل اللغوى ، المعتمد على الاستشهاد بالقرآن الكريم فى كل ما يقعد من قواعد ، وبعد أن يوضح اشتقاق الكلمة وأصلها ، يعمد إلى استعمالاتها فى القرآن الكريم بمعانى متعددة ولكنها تدور حول أصل واحد ، وهو من خلال ذلك يدعم ما يقول بالحديث الشريف ، وأقوال السلف الصالح ، وأخبار الأمم الماضية ، بما يرسخ الفكرة لدى القارىء ، ويوضحها بشتى الوسائل .

وهذا الكتاب يعتبر مكملا لكتاب الفروق ومنع الترادف ، لأن فكرتهما واحدة كما أوضحنا ، وربما كان النواة التى على أساسها ألف كتاب الفروق فيما بعد. فكلاهما يتصل بمبحث دلالة الألفاظ والمعانى . وهذا الكتاب ينشر لأول مرة ، وهو يقع ضمن مجموعة مخطوطة للحكيم الترمذى ، تضم ثلاث كتب وهى :

١ — المسائل المكنونة .

٢ — تحصيل نظائر القرآن .

٣ — كتاب الرد على المعطلة .

وتوجد هذه المجموعة بمكتبة الاسكندرية (البلدية) تحت رقم ٣٥٨٥ ج ، وتوجد بدار الكتب المصرية نسخة مصورة لهذه المجموعة تحت رقم ٣٢٨٢ ج . وكذلك توجد نسخة مكتوبة حديثاً لكتاب « تحصيل نظائر القرآن » مستقلا نقلا عن نسخة الاسكندرية السابقة ، تحت رقم ١٩٥١٦ ب بدار الكتب المصرية . وتقع فى ثمانين صحيفة ، بكل صحيفة ٢١ سطرا مقاس ١٩ × ٢٦ سم وهذه النسخة مليئة بالأخطاء التى يرجع معظمها إلى عدم فهم الناسخ لما يكتب ، إلا أنها تتميز بتصحيح بعض آيات القرآن المكتوبة خطأ بالنسخة الأصلية ، وهى على العموم لا تصلح أن تكون وحدها أصلا يعتمد عليه فى التحقيق . وقد عولت فى إخراجى لهذا الكتاب على نسخة الاسكندرية الأصلية ، وهى تقع فى ٣٢ لوحة من الحجم الكبير ، وتشغل من لوحة ٤٨ حتى لوحة ٧٩ ، وهى بخط النسخ الواضح ، إلا أن بها تصحيفات كثيرة . وأخطاء فى بعض الآيات القرآنية ، ثم هى بعد ذلك تكاد تخلو من إسقاط الكلمات ووجود الفراغ ، وذلك على عكس كتابى « المسائل المكنونة » و « الرد على المعطلة » ، وقد كتبها ابن العديم سنة ٥٠٣ هـ وقد قمت بإخراج الكتاب بما يتناسب مع مكانته ، وراعيت أصول الترقيم وبوبته ، بما يجعله سهل التناول ، قريب الإدراك ، وقد أوضحت ماغمض من الألفاظ وترجمت لبعض الأعلام ، وضبطت الآيات والأحاديث . ووضعتها بين أقواس مميزة ، وأخيرا قمت بعمل ملحق للفهارس بآخره وأسأل

الله أن يشرح صدورنا بالإسلام ، ويملأ قلوبنا بالإيمان ، ويكشف عن قلوبنا الحجب لنتلقى عنه أسرار كتابه ، ويرزقنا العمل بما فيه ، والطاعة له ولرسوله ، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ؟

حسني نصر زيدان

كلية أصول الدين — جامعة الأزهر

غرة رمضان المعظم ١٣٨٩ﻫ .

١١ نوفمبر ١٩٦٩ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله رحمة الله عليه :

الحمد لله رب العالمين ، ولى الحمد وأهله ، أما بعد :

فإنا نظرنا فى هذا الكتاب المؤلف فى نظائر القرآن[1] ، فوجدنا الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه ، فتدبرنا ذلك ، فإذا التفسير الذى فسره : إنما اختلفت الألفاظ فى تفسيره ، ومرجع ذلك إلى كلمة واحدة وإنما انشعبت حتى اختلفت ألفاظها الظاهرة الأحوال ، التى إنما نطق الكتاب بتلك الألفاظ من أجل الحادث فى ذلك الوقت وذلك مثل قوله :

١ — الهدى

فقد جاءت على ثمانية عشر وجها ، فالحاصل من هذه الكلمة : كلمة واحدة فقط ، وذلك أن الهدى : هو الميل ، ويقال فى اللغة : رأيت فلانا يتهادى فى مشيته ، أى يتمايل ، ومنه قوله تعالى :

---

(١) يشير بذلك إلى سبب تأليفه كتاب (تحصيل نظائر القرآن) الذى بين أيدينا ، وأنه وقع فى يده أحد الكتب المؤلفة فى نظائر القرآن ، ولكنها تخالف منهج الترمذى كما أوضحنا ذلك فى المقدمة .

﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾[١]

أى ملنا إليك ، ومنه سميت الهدية : هدية ، لأنها تميل بالقلب إلى مهديها ، وإن القلب أمير على الجوارح ، فإذا هداه الله لنوره : أى أماله إليه لنوره : اهتدى أى : استمال ، وقد قال فى تنزيله :

﴿ يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[٢] .

فهذا أصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسير[٣] الهدى :

١ — البيان : فإنما صار الهدى بيانا فى ذلك المكان ، لأن البيان إذا وضح على القلب بنور العلم : مد ذلك النور القلب إلى ذلك الشىء وأماله إليه .

٢ — الإسلام : وإنما صار الهدى فى المكان الآخر « الإسلام » ، لأنه إذا مال القلب بذلك النور إلى ذلك الشىء الذى تبين له : انقاد العبد وأسلم ، ومد عنقا إلى قبوله .

٣ — التوحيد : وإنما صار الهدى التوحيد فى المكان الآخر ، لأنه إذا مال القلب إلى ذلك النور : سكن عن التردد ، واطمأن إلى ربه فوحد .

---

(١) من الآية ١٥٦ من سورة الأعراف .

(٢) من الآية ٣٥ من سورة النور .

(٣) فى الأصل : فسر .